



## استجابات الجماهير في الحراك التعليمي المغربي

الباحث محمد الورداشي

طالب باحث في سلك الدكتوراه،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك

المغرب

### ملخص البحث:

يروم هذا البحث تحليل عينة من الاستجابات الجماهيرية التي أنتجتها الأساتذة المغاربة من خلال تفاعلهم مع خطاب المتكلم/ الوزير؛ وذلك بتحديد بنيتها الخطابية، ومقوماتها اللسانية والأيقونية، والوظائف والمقاصد الكامنة وراء إنتاجها. وقد حاولنا الانطلاق من التصورات المعرفية لبلاغة الجمهور بوصفها الحقل المعرفي البلاغي الذي يولي اهتماما كبيرا لهذه الاستجابات الجماهيرية، ويطمح إلى توجيهها وترشيدها؛ وذلك بالعمل على إتمام الكفاءة النقدية لهذه الجماهير.

- الكلمات المفتاحية: بلاغة الجمهور، الاستجابة، الكفاءة النقدية، الاستجابة النواة، الاستجابة الموازية.



## 1- بلاغة الجمهور: السياق التاريخي والمعرفي وإضافاتها

### 1-1: السياق التاريخي والمعرفي

عرفَ الدرسُ البلاغيُّ العربيُّ اجتهاداتٍ تجديديةً حاولتْ طرْحَ مقارباتٍ وأسئلةٍ معرفيةٍ تخصُّ البلاغةَ العربيةَ، مُحاولَةً ربطها بالحياة الاجتماعية وما تعيشه من تحولاتٍ في مستوياتٍ مختلفة. ففي هذا السياق التجديدي، تشقُّ بلاغةُ الجمهورِ طريقها الجديدَ في أرضِ البلاغةِ العربيةِ، مُقترحةً مادةً بلاغيةً جديدةً، ووظيفةً جديدةً للبلاغة، ومُنطلقةً من إشكالاتٍ معرفيةٍ جديدةٍ تهتمُّ حياةَ الإنسانِ العربيِّ وغيره.

ظهرتْ بلاغةُ الجمهورِ في الساحةِ البلاغيةِ العربيةِ سنة 2005؛ إذ قدم الباحثُ عماد عبد اللطيف الأسسَ والمنطلقاتَ المعرفيةَ لبلاغةِ الجمهورِ، وأهمَّ الأدبياتِ المفاهيميةِ والإجرائيةِ التي تقوم عليها.

انتقدَ مؤسسُ "بلاغة الجمهور" الدراساتِ البلاغيةَ القديمةَ والحديثةَ؛ فالأولى أوَلتْ عنايةً خاصةً للمتكلم على حسابِ المخاطبِ، والثانيةُ أُخذَ عليها أنها "تمنح القليل من اهتمامها لتحليل الخطابات اليومية، ولم تجد خطابات الحياة العادية مكاناً لها في قاعاتِ الدرسِ الأكاديمي" (1).

أولى الباحثُ عماد عبد اللطيف "العناية بخطابات الحياة اليومية معبراً للاستقلال بمنطقة بحث جديدة تحتاجها تلك الحياة، ويحتاجها الإنسان العربي في فهم الخطابات أو إنتاجها عبر العناية ب(استجابات المخاطب) والخروج من هيمنة المتكلم" (2).

على هذا الأساس، رسمتْ بلاغةُ الجمهورِ مسارَ اشتغالها الجديدَ في الدرسِ البلاغيِّ العربيِّ؛ إذ إن مادة اشتغالها هي استجابات الجماهير، أي الخطابات اليومية العادية التي تمسُّ حياةَ الإنسانِ العادي البسيط، ومن ثم رد الاعتبار للمخاطب بحسبانه حلقةً ضعيفةً في التراثِ البلاغيِّ العربيِّ القديم.

أشرنا إلى أن بدايةَ بلاغةِ الجمهورِ كانت ما بين 2004 و2005، بيد أن هذا الحقلَ المعرفيَّ البلاغيَّ الجديدَ عرفَ تطوراتٍ كبيرةً ومستمرةً، وتظهرُ فيه إضافاتٌ جديدةٌ مع كل دراسة أنجزها المشتغلون به. يتجلى هذا التطورُ في الكتابِ الذي أصدره عماد عبد اللطيف سنة 2009، والذي يحمل عنوان "لماذا يصفق المصريون؟".

اهتم الباحثُ، في هذا الكتاب، بظاهرة التصفيق بوصفها شكلاً من أشكال التواصل الجماهيري، مركزاً على بداية هذه الظاهرة، وأنواعها، وأشكالها، ووظائفها. فاهتمام "بلاغة الجمهور" باستجابات الجماهير المصرية حينما تتلقى خطاباً جماهيرياً لم يقف عند حدود وصف الظاهرة فحسب، وإنما تسعى بلاغة الجمهور إلى الكشف عن ما يكمن وراء الخطاب وظاهرة التصفيق من أشكال التلاعب والخداع بالجماهير.



تطمح بلاغة الجمهور إلى مد الجماهير بعدة بيداغوجية تُنمي لديهم الحسَّ النقديَّ تجاه الخطابات السلطوية بمختلف أنواعها وأمطاتها؛ لذلك انتقد عماد عبد اللطيف الدراسات السابقة التي درست ظاهرة التصفيق الجماهيري في كونها "لم تتخذ في الغالب موقفا نقديا من التصفيق؛ أي لم تُعن بالكشف عن العلاقة بين التصفيق والسلطة. كما لم تهتم كثيرا بتعرية الدور الذي يقوم به التصفيق في إنجاز التلاعب بالجماهير وخداعهم"<sup>(3)</sup>.

يتجلى، أيضا، هذا الاهتمام الكبير بالجمهور في كل الكتابات النظرية التي ألفها الباحث في التأسيس لمشروعه البلاغي الجديد؛ إذ تقترن دراسة البلاغة، لديه، بالسلطة المتضمنة والمختفية في الخطاب، والتي تمرها وتثبتها البلاغة، ومن ثم يقدم الباحث "المقاومة" بوصفها فعلا نقديا ينجزه جمهور ذو كفاءة نقدية.

تُمكن الكفاءة النقدية الجمهور من إنتاج استجابات بلاغية ومعقلنة، فضلا عن تمكينه من كشف آليات الخداع والتضليل والتسلط التي يُضمهرها الخطاب الجماهيري المتسلط، والذي يُعد تجليا من تجليات السلطة "المولعة بالتحويلات" والتخفي.

دفع هذا الاهتمام الكبير بالجمهور الحقل المعرفي لعماد عبد اللطيف إلى الاهتمام بالخطابات اليومية العادية الأكثر ثراء وتنوعا، والتي تم إهمالها من قبل الدرس البلاغي القديم بتركيزه على الخطابات "النخبوية" والنصوص "العليا" و"المتعالية".

يأتي هذا الانفتاح على الخطابات المهمشة والعادية من كون البلاغة أصبحت مكونا أساسيا في الحياة الاجتماعية المعاصرة؛ أي أنها تتطور بتطور المجتمعات، فضلا عن البعد الأخلاقي الذي تلزمه بلاغة الجمهور، والمتجلي في رغبتها في نصره المقهورين والمستضعفين والمهمشين.

قدم عماد عبد اللطيف، وهو يؤسس لمشروعه البلاغي، تقسيما للبلاغة العربية القديمة إلى ثلاثة توجهات (القرآنية؛ الأدبية؛ الإنشائية)، تختلف هذه التوجهات من حيث مادة اشتغالها، ووظيفتها، وأسئلتها المعرفية؛ ومن ثم، اقترح توجهها بلاغيا رابعا هو "بلاغة الجمهور" التي يذهب الباحث عادل المجداوي إلى أنها لا يمكن أن تكون "امتدادا لتصور البلاغة العربية القديمة لأنهما على طريقي نقيض بين بلاغة للمتكلم وبلاغة للجمهور، أي إن بلاغة المتكلم بلاغة هيمنة وسيطرة في مقابل بلاغة الجمهور التي تعتمد إلى مقاومة تلك السلطة وتقويضها"<sup>(4)</sup>.

يقول عماد عبد اللطيف موضحا السياق المعرفي والتاريخي المؤطر لمشروعه البلاغي: "كنت قد قضيت عقدا من الزمان صحبة البلاغة العربية القديمة، وتعلمت أن المتكلم هو محور الفعل البلاغي، وغايته، وأن المخاطب (الجمهور، بمصطلحات التواصل العمومي) هو مرمى التصويب"<sup>(5)</sup>.



إن هذا الاهتمام الكبير بالمتكلم على حساب المخاطب هو الذي حمل عبد اللطيف على إحداث تغيير جذري في البلاغة العربية القديمة؛ لذلك يرى أن "علم البلاغة ينبغي أن يقلب رأساً على عقب، حتى يتحول من أداة لإنجاز التلاعب والسيطرة، إلى أداة لإنجاز الوعي والتحرير" (6).

وُجّهت انتقادات عديدة لبلاغة الجمهور دفعت مؤسسها إلى الاستفادة من هذه الانتقادات، ومناقشتها بناءً على الأسس والمنطلقات المعرفية لمشروعه، ومن ثم، تبيانه للإضافات المعرفية التي تقدمها بلاغة الجمهور للدرس البلاغي العربي.

## 1-2: الإضافات المعرفية

قدمت بلاغة الجمهور إضافات معرفية ومنهجية للبلاغة العربية القديمة؛ وذلك من حيث مادة الاشتغال، والوظيفة المعرفية، والأسئلة البحثية، وهذا ما سيعتمده عماد عبد اللطيف ليعطي هوية معرفية واضحة لبلاغة الجمهور.

أ- مادة الاشتغال:

أشرنا إلى أن بلاغة الجمهور تولي اهتماماً كبيراً للمخاطب، فوجهت بهذا الدرس البلاغي إلى ضرورة الاهتمام بـ "استجابات الجمهور" في فضاءات عمومية، سواء أكانت واقعية أم افتراضية؛ شكلت هذه الاستجابات الجماهيرية مادة جديدة للدرس البلاغي الذي لم يعن "بخطابات الحياة اليومية، ونصوصها، ناهيك عن الاهتمام بالآداب الشعبية" (7).

يدل مفهوم "استجابات الجمهور" على "ردود الأفعال اللفظية وغير اللفظية التي ينتجها متلقو هذه النصوص والخطابات في السياقات الفعلية" (8). وسنفصل القول في هذا المفهوم فيما بعد.

حدد عماد عبد اللطيف خمس ظواهر بلاغية قديمة (أسلوب الحكيم؛ الأجوبة المسكتة- المفحمة؛ القول بالموجب؛ مجازة الخصم) تتضمن استحضاراً للمخاطب، بيد أنها تختلف عن مادة بلاغة الجمهور (استجابات الجمهور) التي تختص بكونها (9):

"- ينتجها المخاطبون (الجمهور) لا المتكلم؛

- تُتداول في فضاءات عمومية ليست فردية أو بين شخصية؛

- تنتمي إلى خطابات الحياة اليومية لا الخطابات العليا؛

- تشمل اللغة والعلامات الأخرى لا اللغة وحدها؛



- قد يشترك في انتاجها جمع غفير لا شخص واحد".

ب- من حيث الوظيفة

تتمثل وظيفة بلاغة الجمهور في "خدمة المخاطبين"، والاشتغال باستجاباتهم أثناء أو بعد تلقيهم للخطاب الأصلي في فضاءات عمومية محددة. وهكذا، "تسعى بلاغة الجمهور إلى تشكيل وعي مضاد بالتلاعب البلاغي، وتمكين الأفراد العاديين من مقاومته بواسطة استجابات رشيدة، أطلقت عليها من قبل تسمية "الاستجابات البلاغية" (10). هذه الاستجابات التي تحتاج إل توجيه معرفي يمكنها من أن تكون بليغة ومعقنة وموجهة، وذات كفاءة نقدية تسهم في مقاومة الخطاب الأصلي والتأثير فيه وتوجيهه.

ج- أسئلة معرفية وبخثية جديدة

تحدد بلاغة الجمهور أسئلتها المعرفية الجديدة في:

- العلاقة بين الاستجابة والخطاب؛ وذلك لكون الخطاب مصدرا للاستجابات الجماهيرية، كما أن هذه الاستجابات يمكنها، إن كانت بليغة ورشيدة ونقدية، أن تؤثر في الخطاب الأصلي، وقد تسهم في تغيير مواقف المتكلم وتعديلها؛

- العلاقة بين الأداء والاستجابة؛ إذ يمثل الأداء دورا مركزيا في إنتاج الاستجابة وتحديد نوعها ووظيفته بالنسبة لحلل الخطاب، ومن ثم تُطرح أسئلة من قبيل: "كيف يؤثر الأداء في صياغة استجابات الجمهور، انطلاقا من إقرار واضح بأهمية الأداء في الخطابات العمومية الراهنة" (11).

- العلاقة بين استجابات الجمهور والسياق؛ ما دام السياق محددًا أساسا للخطاب وتلقيه، فإن السؤال الذي يُطرح هنا هو: كيف يسهم السياق التداولي للخطاب في تغيير موازين القوة بين المتكلم والجمهور؟

د- الهوية المعرفية لبلاغة الجمهور

تمت الإشارة إلى أن هناك انتقادات وُجّهت لبلاغة الجمهور، وأهمها هو طبيعة هويتها المعرفية، ومنهج اشتغالها بالاستجابات الجماهيرية. أما الهوية؛ فيشير عماد عبد اللطيف إلى كونها منهجا في التحليل، وحقلا معرفيا بلاغيا، وتطمح لأن تكون مدرسة بلاغية أكاديمية.

أما منهج الاشتغال؛ فإن المتتبع لأدبيات بلاغة الجمهور يجد أن ليس لها منهج محدد، وإنما يرى مؤسسها أنه يمكن أن يكون لها "منهج متكامل" يأخذ من حقول معرفية متعددة ما يوائم موضوع الاشتغال.



يقول عماد عبد اللطيف بهذا الصدد: "قد يؤدي عدم تبلور منهج محدد يعمل في إطار بلاغة الجمهور إلى تعاضم التحديات أمام المشتغلين بها؛ إذ عليهم تطوير أدوات تحليل خاصة بهم في كل معالجة نصية" (12).

تجدر الإشارة إلى أن بلاغة الجمهور تسعى إلى تجسير علاقات معرفية ومنهجية مع علوم أخرى من قبيل: علوم التواصل، وتحليل الخطاب، والنقد الأدبي، والتداولية، والسيميوطيقا، وعلوم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا.. إلخ؛ الشيء الذي يجعلها تتسم بالانفتاح والتجدد المستمرين.

### 1-3: استجابات الجماهير

تمثل استجابات الجمهور مادة اشتغال بلاغة الجمهور الأساس؛ إذن، ما المقصود بهذا المفهوم المركزي في هذا الحقل المعرفي الجديد؟

تعني استجابات الجمهور ردود الفعل اللفظية وغير اللفظية التي تنتجها الجماهير بصددها خطابا جماهيريا معيناً، سواء أكان سياسياً، أم دينياً، أدبياً، أم ثقافياً.. إلخ. ومن ثم، تتأثر هذه الاستجابات بطبيعة الخطاب الأصلي، وأدائه، وسياق إنتاجه وتلفظه، ووسيط تمريره، ومقاصده التداولية والاجتماعية.

ترتبط هذه الاستجابات، في أحيان كثيرة، بوسائل التكنولوجيا الحديثة التي أنتجت ما سماه عماد عبد اللطيف "عصر استجابات الجماهير"؛ إذ "أصبح للجمهور العادي للمرة الأولى في تاريخ البشرية القدرة على إنتاج استجابات للرسائل التي يتلقاها" (13).

أتاحت مواقع التواصل الاجتماعي فضاءً فسيحاً للجماهير حتى تعبير عن مواقفها وآرائها مما تتلقاه؛ منتجة استجابات جماهيرية تختلف درجة بلاغتها وفعاليتها التداولية والنقدية من شخص لآخر.

على هذا الأساس، تتسم استجابات الجمهور في الفضاء الافتراضي بخصائص محددة، حصرها عماد عبد اللطيف في (14):

أ- الآنية

أصبحت الاستجابات الجماهيرية "توزع وتستهلك في زمن توزيع واستهلاك الرسالة الأصلية نفسه تقريباً"؛

ب- ضعف الخضوع للرقابة وإعادة المعالجة

تحتل هذه الاستجابات "بمساحة أكبر بكثير من الحرية والاستقلالية"؛ إذ أخذ يعبر الأفراد عن آرائهم ومواقفهم تجاه كل ما ينتج من خطابات إنسانية، وذلك في فضاء يتسم بنوع من الحرية والاستقلالية؛

ج- ضخامة حجم الاستجابات وتعدد أنواعها



لا تخضع الاستجابات لضرورة وإكراه المحدودية؛ ذلك أن حجمها قد يتجاوز حجم الرسالة الأصلية، فضلا عن كونها توظيف العلامات اللغوية وغير اللغوية؛

د- قابلية تجهيل المصدر وصعوبة التتبع

ترتبط هذه الخاصية بالخاصية "ب"؛ حيث يتم تجهيل مصدر الاستجابة وإبعادها عن الرقابة بوساطة "الأسماء المستعارة أو الرموز واستخدام الحواسيب العامة أو الهواتف النقالة". نضيف إلى ما حدده عماد عبد الطيف خاصية "التداول السريع الانتشار"؛ إذ ما إن يتم إنتاج الاستجابات حتى يتم تداولها افتراضيا على نطاق واسع قد يفتح على التواصل الحي اليومي في الواقع؛

هـ- القابلية للحصر والقياس

يمكن حصر وقياس كل الاستجابات في الفضاءات الرقمية بمختلف أشكالها، عكس الاستجابات الواقعية اليومية غير المحدودة، وربطها بالخطاب الأصلي.

## 2- استجابات الجماهير الأستاذية

يندرج بحثنا المعنون ب" استجابات الجماهير في الحراك التعليمي المغربي" في سياق استجابات الفضاء الرقمي "فيس بوك"؛ إذ نتجت هذه الاستجابات عن إخراج وزارة التعليم الأولي والرياضة لمرسوم "النظام الأساسي" المنظم لقطاع التعليم، الذي قابلته الأسرة التعليمية المغربية بالرفض المطلق.

رفضته؛ لأنها رأت فيه إجهازا على حقوقها المكتسبة، وانتكاسة خطيرة في مسار مطالبها، كما أنه لم يحل الأزمات المزمنة في القطاع، ولم يمهّد للحركات النضالية المستمرة في المغرب، وإنما ضاعف من معاناة الأسرة التعليمية بإضافته لمجموعة من المهام الكثيرة دون تعويض مادي، وعدم تحديده ساعات العمل، والأخطر والأنكى أنه نظام خارج أسلاك الوظيفة العمومية، ومن ثم رأى فيه الأساتذة والمهتمون بالشأن التربوي "تسليعا للمدرسة العمومية الوطنية" وتشجيعا للوبي الخوصصة.. إلخ.

سنحاول تحليل عينات من الاستجابات التي ترتبت عن تصريحات مسؤولين حكوميين، والكيفية التي تفاعل بها الأساتذة معها؛ محددين السياق العام لهذه التصريحات والاستجابات، وأشكالها التعبيرية، ووظائفها التداولية والاجتماعية.

أطرنّا بحثنا هذا بثلاثة أسئلة معرفية؛ هي: كيف أنتجت خطابات فاعلين حكوميين استجابات الأسرة التعليمية المغربية؟ وما أشكال وتجليات وأبعاد هذه الاستجابات؟ وهل استطاعت هذه الاستجابات تغيير أو تعديل مواقف وخطابات الفاعلين الحكوميين؟



تجدر الإشارة إلى أننا سنحاول تحليل هذه الاستجابات دون التقييد بمفاهيم محددة؛ لسببين: أولهما؛ أن بلاغة الجمهور لا تزال حقلًا معرفيًا بلاغيًا منفتحًا على التجديد في أدواته الإجرائية، وارتفاعًا مع الخطابات الاجتماعية المتجددة، ولئن كانت الحركات الاجتماعية الاحتجاجية جزءًا وشكلاً من الخطابات الاجتماعية، فإن بلاغة الجمهور يمكنها أن تضيء جوانب متعددة من استجابات الأسرة التعليمية المغربية، وتسهم في تحديد أشكالها التعبيرية، وأبعادها الاجتماعية والنقدية. وثانيهما؛ أننا لا نؤثر الإتيان بمفاهيم معدة سلفًا، ثم نسقطها تعسفاً على مادة الاشتغال، وإنما سيكون منطلقنا محددًا بهذه المادة عبر استنطاقها وكشف مقوماته.

ولئن كانت الاستجابات الجماهيرية متجددة ومتنوعة باستمرار، فإن على بلاغة الجمهور أن تواكب هذا التجدد في أدواتها التحليلية ومفاهيمها الإجرائية.

## 2-1: السياق العام

يعد "النظام الأساسي" حلقة من سلسلة الإصلاحات التي تتعاقب على إصلاح قطاع التعليم بالمغرب منذ "إنشاء اللجنة العليا لإصلاح التعليم" سنة 1957 إلى يومنا هذا. تعددت السياقات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية؛ التي تمخض عنها مسلسل الإصلاح في هذا القطاع باعتباره لبنة أساسًا لتحقيق تنمية جذرية وحقيقية للمجتمع والدولة.

ثمّة نتيجة تلاحق هذه المحطات والبرامج الإصلاحية؛ وهي الفشل في تحقيق النتائج المرجوة من ورائها، وهذا ما تشهد عليه برامج الإصلاح ما دام كل برنامج لاحق يقر فشل سابقه ويُجْبُ ما قرره.

لا يتسع المقام لرصد المحطات والمراحل التي مر بها إصلاح التعليم بالمغرب؛ لذلك سنطرح الأسئلة التالية علماً أن "النظام الأساسي" متمخض، بخاصة، عما يسمى "خريطة الطريق" التي تعد، بدورها، نتيجة لإصلاحات سبقتها:

- ما الأسباب الحقيقية والبنوية الكامنة وراء فشل مشاريع إصلاح التعليم المغربي؟ أي أسباب سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم اجتماعية؟ أم أن الفشل نتيجة حتمية لغياب إرادة سياسية، ورؤية مستقبلية واقعية لمستقبل التعليم؟ أم أن قدر التعليم أن يظل عرضة للأهواء والمصالح الشخصية، ومختبرًا للتجارب المستوردة؟

تصدر هذه الأسئلة عن رغبة حقيقية في مساءلة البرامج الإصلاحية التي باءت بالفشل، والتي غالبًا ما تؤثر فيما يأتي بعدها من إصلاح، ويعتبرها القائمون على الشأن التعليمي شماعة يعلقون عليها فشلهم وإخفاقاتهم.

## 2-2: خطاب وزير التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة





ألقى الوزير خطابه الذي كان عبارة عن تفاعل مع التعقيبات التي وجهت له في جلسة الأسئلة الشفهية الأسبوعية بمجلس المستشارين يوم 24 أكتوبر 2023 (15). وردت في هذا الخطاب التفاعلي مجموعة من النقاط التي يراها الوزير أساسية، كما أنها أثارت ردود أفعال عديدة، والتي سنقف عند بعضها، وما ترتب عنها من استجابات جماهيرية أستاذية (16).

## 2-2-1: "تصحيح الامتحانات يمكنه أن يحسن دخل الأستاذ المادي"

استجابة رقم (1): Z.R "الإخوة إني في حيرة؛ لا أدري هل أسافر بمستحقات التصحيح في الصيف إلى المالديف أو بالي".

- مستوى المعجم:

تضم هذه الاستجابة علامات لسانية تحمل دلالات؛ نذكرها منها:

"حيرة؛ إذ معناها أن ثمة اضطرابا وغيابا للثبات على أمر أو قرار ما، ف"ضخامة تعويضات التصحيح" أوقعت هذا الأستاذ في حيرة من أمره في تحديد المكان الذي سيقضي عطلته الصيفية فيه.

"المالديف وباللي؛ موقعان جغرافيان صنفا من بين أجمل المواقع السياحية في العالم، ومن ثم، يعبر هذا الأستاذ عن رسالته التي تحمل المتكلم/ الوزير على عقد مقارنة بين ملفوظه وهذه الاستجابة. يجاري المخاطب/الأستاذ "خصمه" في كون التصحيح يحسن من دخل الأستاذ، إلا أنه يباغته بتضخيم "مستحقات التصحيح" إلى حد السخرية التي تكشف عن مفارقة الخطاب الأصلي لواقع الأستاذ.

- مستوى الحجج:

تقدم هذه الاستجابة حجة أساسا تتمثل في ذكر "المالديف وباللي"؛ إذ إن مستحقات التصحيح لا تُحسَّن الدخل فحسب، وإنما تُمكن الأستاذ من زيارة أفضل المنتجعات السياحية في العالم التي تُعدُّ محجا للأغنياء والأثرياء.

تحيل السخرية المتضمنة في الاستجابة على الرغبة في إضعاف ملفوظ "الخصم"؛ وذلك بدفعه إلى المقارنة بين ما يقوله الواقع المعيش، وطوباوية ملفوظه؛ وهكذا، مثلت السخرية آلية حجاجية نقدية نسفت كل بناء حجاجي ممكن في الملفوظ.

استجابة رقم (2): A.G "الإخوان، متى ستظهر مستحقات التصحيح؛ لأني حجزت في فندق المامونية بمراكش، عطلة فارهة بأموال التصحيح".



- مستوى بنية الاستجابة:

تضمنت هذه الاستجابة علامات لغوية، تبين حجم الأموال التي يجنيها الأستاذ المغربي من تصحيح أوراق الامتحانات الإشرافية، كما أن فيها بعدا سخريا نقديا؛ فاستحضار "فندق المامونية" بوصفه فندقا مغربيا "فخما" يدل على الحالة المادية للأستاذ المغربي، إذ لا يستطيع دخول الفنادق "الفخمة" في بلده ناهيك عن الدول الأجنبية.

- مستوى الحجج:

تضم الاستجابة بناء حججيا، يمكن تحديده في:

أ- الحجج بالأسباب والنتائج؛ ويتمثل في تقديم النتيجة أولا، وهي "الاستفهام عن موعد تسلم مستحقات التصحيح" التي تدعمها الحجة التالية "لأني حجزت بفندق المامونية". يمدنا هذا الحجج بمفارقة؛ إذ إن مستحقات التصحيح مجرد دراهم معدودة، وما يتطلبه الفندق المذكور من مصاريف مادية لا تسده تلك الدراهم القليلة؛

ب- الحجج بوساطة السخرية؛ إذ نجد هذه الآلية الحجاجية متضمنة، إن بشكل صريح أو مضمرة، في كل الاستجابات، لأن لها دورا فعالا في محاججة الطرف الآخر، وبيان تهافته أمام سلطان الواقع المعيش.

استجابة رقم (3): A.L.

"...كما يمكن للأستاذ أيضا تحسين دخله عن طريق تقطيع النقود الموجودة في كراسة التلميذ."



تمثل استجابة على شكل علامة بصرية (صورة)، مرفوقة بعلامات لسانية شارحة وموضحة "...كما يمكن للأستاذ أيضا تحسين دخله عن طريق تقطيع النقود الموجودة في كراسة التلميذ".

- مستوى بنية الاستجابة:

تضم الصورة قطعا نقدية متنوعة ومصورة على كراسات التلميذ؛ إذ كان الهدف منها هو تعرّف المتعلم في المستوى الابتدائي على أنواع النقود والأوراق النقدية المتداولة في المعاملات التجارية المغربية.



تتعاضد العلامات اللسانية والأيقونية في هذه الاستجابة لتأدية وظيفة نقدية للخطاب الأصلي؛ وذلك من خلال تفعيل آلية السخرية والتفكك من هذا الخطاب.

2-2-2: "التأكيد على دخول هذه المهام في مصلحة التلميذ"

استجابة رقم (1):

المختبرات باش كايطلعوا العلميين في المغرب...قاليك  
مصلحة التلميذ!!!



تتضمنُ الصورة الفوتوغرافية الأدوات التي توفرها الوزارة لأساتذة مادة الفيزياء والكيمياء؛ حتى ينجزوا التجارب الخاصة بدروس الكيمياء. تتكون هذه الأدوات، كما تقدمها الاستجابة/الصورة، من عوجلتين و"براد" وقنينتي مواد كيميائية، لتأني العلامات اللسانية تعضيدا وتأكيدا وتوضيحا للعلامات الأيقونية، ونصها "المختبرات التي تنتج العلميين في المغرب... يقول لك مصلحة التلميذ!!!".

إن هذه الاستجابة، بمكونها اللساني والأيقوني، تقدم نقدا لاذعا ملفوظ المتكلم/ الوزير الذي أشار إلى أن مصلحة التلميذ هي العليا والأولى؛ إذ تمدنا الاستجابة بفكرة مفارقة وساخرة عن نظرة الوزارة لمصلحة التلميذ، وطبيعة الجهود التي تقدمها لهؤلاء المتعلمين.

تحيل، أيضا، على هشاشة البنية التحتية بالمؤسسات التعليمية؛ حيث إن انعدام تجهيز مختبرات المواد العلمية بالأدوات واللوازم التي توظف لإنجاز التجارب، يجرنا إلى استحضار غياب المراحيض، والطاولات، والفضاءات الخضراء، والماء، والإنارة.. إلخ، في مجموعة من المؤسسات التعليمية.

تحوي الاستجابة، كذلك، نبرة سخرية وتفكك؛ وهذا ما يدل عليه ملفوظ "يقول لك مصلحة التلميذ"، والذي تم إنهاؤه بثلاث علامات للتعجب.



استجابة رقم (2): F.A:



تضمُّ هذه الاستجابة صورة طفلة في مقتبل العمر، تعلق وجهها ابتسامة عريضة، تحمل يدها اليمنى ورقة بيضاء مكتوباً عليها "أستاذنا، دافع عن كرامتك، نحن في انتظارك"، وتمسك باليد اليسرى خشبة لافتة لإحدى التنسيقيات، وخلفها امرأتان.

تتضمن هذه الاستجابة رسالة واضحة للمتكلم/الوزير الذي رفع شعار مصلحة التلميذ ذريعة للإجهاد على حقوق الشغيلة، مفادها أن التلميذ الذي تخشى على مصلحته يخوض المعركة النضالية بجانب أستاذه؛ لأن الأسر المغربية وأبناءها لم يعد خافٍ عليهم مكنمٌ مصلحة أبنائهم الحقيقية.

أن يشجع التلميذ أستاذه على النضال، ويشاركه ويتعاطف معه في معركته، ويحثه على الدفاع عن كرامته، دليلٌ على منسوب الوعي الذي بات يتحلى به التلميذ المغربي وأسرته؛ ذلك أنهم وعوا أن مصلحة التلميذ هي مصلحة الأستاذ، وأن كرامة الأستاذ هي كرامة التلميذ.

تقدم هذه الاستجابة البليغة والرشيده حجة واضحة للمتكلم/الوزير، وتؤكد له أن شعار "مصلحة التلميذ" لم يعد يستهوي الشعب المغربي الذي رأى أن في كرامة الأستاذ كرامة ومصصلحة أبنائه وبناته.

تحمل هذه الاستجابة، اللسانية والأيقونية، مساندة ميدانية ودعماً معنوياً للأستاذ المغربي؛ إذ بات التلميذ يحثه على النضال من أجل الكرامة، ويطمئنه أنه في انتظار عودته مكرماً ومحترماً.



استجابة رقم (3):



تتكوّن هذه الاستجابة من صورتين فوتوغرافيتين لطفلة يُقدر عمرها بعشر سنوات، ترتدي طربوشا يقيها حرارة الشمس؛ لأنها محمولة على أكتاف شخص من أحد أفراد عائلتها، وتظهر في الخلية أوجه كثيرة؛ ما يحيل على أن الصورة التقطت، إلى جانب الصورة الثانية، بالشارع أثناء قيام الأساتذة بمسيرة احتجاجية. ويقدم هذا، أيضا، دليلا على أن التلميذ المغربي بات مساندا حقيقيا لأستاذه في محنته.

في الصورة الأولى، تمسكُ الطفلةُ بيدها اليمنى، وبمعية يد الرجل الذي يحملها، ورقة بيضاء مكتوبا عليها "مدرستي بيتي الثاني"، وبين هذه العلامات اللسانية يوجد قلبان مرسومان؛ ما يدل على المكانة النفسية والاجتماعية التي تشغلها المدرسة في قلب التلميذ؛ إذ يعدها بيته الثاني، ولا جرم في هذا ما دام يقضي أغلب وقته في المدرسة.

حُرمت هذه الطفلة، مثل أبناء الفقراء المغاربة، من بيتها/بيتهم الثاني؛ لأن هذا البيت أضحي شاغرا مقفرا وموحشا ما دام قد غادره من يضيئه، ويشيع نور العلم والمعرفة في حجراته. ومن ثم، تحمل رسالة الطفلة طلبا مضمرا للمتكلم/ الوزير؛ كأنها تخاطبه محاججة: "إن كنت فعلا مهتما بمصلحتي، فإن مصلحتي في المدرسة، ولكي أعود إلى المدرسة/بيتي الثاني عليك أن تعيد لأستاذي كرامته المسلوقة".

أما الصورة الثانية؛ فإنها تضم، أيضا، ورقة بيضاء، بيد أنها تتضمن رسالة أخرى نصها: "أحبك أستاذتي مدرستي"، وبين هذه العلامات اللسانية ثلاثة قلوب دلالة على الحب الذي تُكثُّه الطفلة لأستاذتها، التي تضعها في كفة واحدة مع مدرستها؛ إذ مصدر حبّ الطفلة لمدرستها حبُّها لأستاذتها والعكس صحيح.

نلاحظ أن لفظة "مدرستي" قد تكررت في الصورتين كليهما، وحيثما وجدت هذه اللفظة تخللتها قلوب، وهذا يدل على عياء التلاميذ المغاربة من غياب التمدرس، وعلى رغبتهم في مساندة أساتذتهم حتى يحققوا مطالبهم، ومن ثم، العودة إلى المدرسة.



2-2-3: "اعتبار الأستاذ الفاعل الأساس في المنظومة"، و"مواكبة الأستاذ وحمائته، والحفاظ على كرامته"

سنكتفي بالوقوف، في هذا السياق، عند استجابتين تخصان الملفوظين أعلاه؛ الأولى استجابة لسانية ارتأينا عدم تغيير بنيتها اللغوية، والثانية علامةً بصريةً تجمع بين البعدين اللساني والأيقوني.

استجابة رقم (1): "اعطي لمو لعصا، الله الله يا بابا، دولة هادي ولا غابة"

- مستوى بنية الاستجابة:

نشير إلى أن هذه العلامات اللغوية مشحونة بقوة تبليغية ودلالية كبيرة؛ إذ إن لكل علامة دلالاتٍ وسياقاتٍ محددةً. نقف عند الجزء الأول "اعطي لمو العصا"، والتي تُنسب إلى مسؤول أمني، ونشير إلى أن ثمة سياقاً اجتماعياً مؤملاً في تاريخ المغرب المعاصر، تتناصُّ معه هذه العبارة.

ففي 28 أكتوبر 2016 اكتسح وسائل الإعلام الحدثُ المؤمُّ لمقتل الشاب المغربي، محسن فكري، بطريقة همجية وحشية؛ إذ تشير وسائل الإعلام إلى أنه تم طحنه في شاحنة نفايات تحت ذريعة فساد السمك الذي يبيعه.

نُفذ هذا الفعلُ المؤمُّ بناءً على قول ينسب لأحد المسؤولين؛ نصه "طُحْنُ مُو"، ومنذ هذه الواقعة والمضطهدون من المغاربة يغيرون فعل "الطحن" بأفعالٍ أخرى متنوعة ومرتبطة بسياق إنتاج العبارة، بيد أن كلمة "مو"، أي أمه، توجد في كل الملفوظات المشابهة لتلك الحال المؤلمة.

نفهم مما سبق، أن "اعطي لمو العصا" تحيلنا على أن ثمة مقارنةً قمعيةً تنهجه الدولة في قمع وإسكات الحركات الاحتجاجية الاجتماعية التي يخوضها فقراء الوطن المضطهدون. ومنه؛ فإن الأستاذ مواطن بسيط مثله مثل أبناء المجتمع المظلومين، ذلك أن ما وقع لمحسن فكري يمكن أن يقع لأي ضعيف مغربي بأشكالٍ مختلفة، ولا أدل على ذلك من القمع والعنف في سياق الأساتذة هذا.

أما الجزء الثاني "الله الله يا بابا، دولة هادي ولا غابة"؛ فإنه مقتبس من شعار تصدح به أصواتُ الأساتذة بكل شوارع المملكة؛ وهو دليل على غياب القانون والعدالة الاجتماعية. ذلك أن لفظة "دولة" توضع على محك المقارنة بينها وبين الغابة.

معلومٌ أن الدولة بالمفهوم الحديث هي مؤسسات تخضع لسلطة القانون الذي يتساوى أمامه جميع المواطنين، وأنها تسهر على ضمان حقوقهم وتوجيه سلوكياتهم بناءً على واجباتهم تجاه المجتمع.

تحيل لفظة "غابة" في المقابل، على "قانون الغاب" حيث القوي يأكل الضعيف، ولا بقاء إلا للأقوى والأفضل. إلا أن لفظة "العصا" ترجح المعنى الثاني المحدد في كلمة "غابة"؛ لأن العصا تجلِّ من تجليات عدم احترام القانون وتطبيقه.



استجابة رقم (2):



تضم الاستجابة الأيقونية الثانية عناصرَ مُشكَّلةً لدلالاتها ومقاصدها، حيث تتموقع في أعلى الصورة يدٌ ملطخة باللون الأحمر، وفيها إشارةٌ إلى غزارة اللون وسيلانه إلى أسفل. يدل هذا اللون، في هذا السياق، على الدم الذي مصدره العنفُ والقمعُ اللذان يتعرض لهما الأساتذة.

تنتصب اليد بشكل عمودي إلى أعلى بأصابعٍ مُضْمَخَةٍ بالدم، ومنه هذا الشكل يدل على معانٍ منها: "كفى من العنف"؛ أو "كفوا عن تعنيف الأساتذة". كما أن سيلان اللون الأحمر/ الدم إلى أسفل يدل على استمرار العنف الذي ينتج عنه سيلان المزيد من دماء الأساتذة.

أما على المستوى اللساني؛ فإننا نلاحظ أن هناك علامةً لسانيةً "لا" بخط مضغوط وضخم، وباللون الأحمر المائل إلى الانفتاح، وقد وُضعت هذه العلامة جانب اليد المنتصبه؛ وفي ذلك إشارة إلى النهي عن فعل العنف، والدعوة إلى التوقف عنه.

يتبين الملاحظ للصورة أن كلمة "لا" من حيث الشكل، تُشبه "اليد" الموجودة في الصورة؛ هذه اليد التي تنجز وظيفتين مزدوجتين: تنتج العنف من قبل المتكلم/ المعنّف، وتدعو إلى نبذ العنف من قبل الجمهور/ المعنّف، والدعوة إلى التوقف عنه.

توجد في الوسط علامة "التعنيف" المكتوبة بخط أسود مضغوط. فمن الناحية التركيبية تتشكل العلامة من كلمتين؛ هما حرف الجر "ل" والاسم المجرور "تعنيف"، إذ إن حرف الجر يعد عاملاً فاعلاً في الاسم الذي يأتي بعده؛ لأنه يجره ويلحق به علامة الخفض وهي الكسرة.

هكذا، يمكننا القول إن هذه العلامة اللسانية تعكس موازين القوة بين طرفين، يمثل أولهما القائم بفعل الجر/ التعنيف الذي ترتب عنه كسر الطرف الثاني/ الأستاذ، وخفض مكانته وإذلاله.





يدل اللون الأسود، من الناحية السيميائية، على معان عدة؛ منها: "الظلم، والقهر، والعبودية، والسجن، والحزن، والكآبة، والعنف.. إلخ"؛ وكلها معاني تخدم مقصدية الاستجابة المتمثلة في حجم المعاناة التي يعانيتها الأستاذ المغربي، ومن ثم، إفحام المتكلم/الوزير ونسف حجية ملفوظه المتمثلة في إعلاء مكانة الأستاذ.

أما العلامة اللسانية "الأستاذة"؛ فقد وُضعت في أسفل الصورة بخط مضغوط ذي لون أحمر مطابق للون اليد. يحيل هذا التشاكل بين العلامات اللسانية والأيقونية على أن الطرف الذي وقع عليه فعل العنف هم الأستاذة الذين يناضلون في سبيل كرامتهم، وتعلو لذلك تقدم الصورة أبعاداً متعددة، تصبُّ كلها في خدمة المقصدية الأساس؛ أي اطلاع الرأي العام المحلي والدولي على المكانة المتدنية للأستاذ المغربي، وتبيان حجم المعاناة والأضرار التي يلحقها به الطرف الثاني.

نود أن نشير، بهذا الصدد، إلى أن السلطة تتلبس بالتخفي في كل المجتمعات، بيد أنها تتجلى في "الكلمة، والذهب، والبندقية، كما تتجلى في الصمت والغياب" (17). يلاحظ المتتبع للشأن التعليمي بالمغرب منذ شهرين، أن سلطة المتكلم/الوزير قد تجلت في الخطاب، وفعل القمع والعنف، كما أنها تجلت في صمت الحكومة وركونها إلى الغياب.

نستخلص من الاستجابتين اللتين وقفنا عندهما أن السلطة تتسم بالتحول وعدم الاستقرار؛ ولأنها "تجيد التخفي، ولأنها مولعة بالتحويلات، فإننا في حالة بحث دائم عن مرايا تنعكس عليها حقيقة السلطة المستقرة والمتحولة" (18).

تنعكس السلطة المغربية على مرايا/ استجابات الأستاذة التي حاولنا تحليل عينة منها، والتي استطاعت أن تطلعنا على المفارقة الكبيرة بين الخطاب والواقع المعيش، وتجعلنا نؤكد ما ذهب إليه عماد عبد اللطيف؛ إذ "تستطيع السلطة الأقوى دائما فرض أفكارها، ونشرها، وتضمن لها قدرا من قبول الآخرين؛ نتيجة فرض الصمت عليهم" (19).

## 2-3: خصائص ومقومات استجابات الأستاذة

أشرنا في سياق سابق إلى أن الاستجابات، بفضل الإمكانيات الهائلة التي تتيحها وسائل التكنولوجيا الحديثة، بمقدورها أن تفوق حجم الخطاب الأصلي الذي تنتج عبر التفاعل معه؛ لذلك لم نقد عند كل الاستجابات الكثيرة التي أنتجها الأستاذة من خلال تفاعلهم مع خطاب المتكلم/الوزير.

يمكن القول، وبنوع من التعميم، إن استجابات الأستاذة، سواء أعلق الأمر بالنماذج التي وقفنا عندها أم التي رصدناها في مواقع التواصل الاجتماعي، تتميز بالسمات التالية:





أ- الإبداعية:

تتمثل في الكفاءة الإبداعية الحضارية التي عبر عنها الأساتذة في مختلف استجاباتهم؛ ذلك أنها تنم عن قدرة كبيرة على التفاعل مع الخطاب الأصلي بأشكال فنية متعددة ذات درجة عالية من الإبداع والابتكار؛

ب- القصصية:

تعرض الاستجابات مقصدية الجماهير الأستاذية ورسائلها؛ وذلك من خلال ارتباطها بملايسات سياق إنتاج الخطاب الأصلي، وتلفظه، وتداوله، كما أن قصديتها تمثلت في أفعال إنجازية عديدة متضمنة في البنية اللسانية والأيقونية للاستجابات؛

ج- التفاعلية:

تبرز من خلال التفاعل السريع مع ما يصدر عن المتكلم/الوزير، وكل الفاعلين السياسيين والمدنيين، ما ينم عن يقظة الأساتذة وتتبعهم لكل صغيرة وكبيرة تخص قضيتهم؛ لذلك أفسح لهم التفاعل الآيُّ السريع مجالات واسعة للرد والحجاج والنقد؛

د- النقدية:

تتجلى هذه الخاصية في ردود الأفعال التي صدرت عن الأساتذة، والتي استطاعت أن تؤثر في المتكلم/الوزير، وتدفعه إلى الاعتذار وإعادة النظر في خطابه من حيث النبرة واللهجة المتشنجة. وهذا الجانب النقدي في الاستجابات هو ما تسعى بلاغة الجمهور إلى ترسيخه لدى الجماهير، لكي يمتلكوا كفاءة نقدية، ولعل هذا ما عبر عنه الأساتذة باعتبارهم مواطنين لهم قدر من الثقافة والوعي؛

هـ- المقاومة:

تمظهرت فيما يسميه عماد عبد اللطيف ب"المقاومة بالسخرية"؛ إذ إن السخرية آلية من الآليات البلاغية والحجاجية التي توظف لنقد السلطة ورموزها وخطاباتها، ومن ثم، تغدو آلية نقدية تستعمل "النكت، والفكاهات، والأمثولات الساخرة، والحكايات الهازلة" (20)؛

و- الاستجابة النواة/ الاستجابة الموازية

نقترح "الاستجابة النواة" للدلالة على الاستجابة الأولى التي ينتجها الجمهور، والتي تعد نواة تتفجر عنها استجابات أخرى تصب في مقصديتها، وتخدم غرضها، إلا أنها توسع مجال الإبداع أمام الجمهور لابتكار أشكال جديدة من الاستجابات.



ونقترح "الاستجابة الموازية" للدلالة على الاستجابات الموازية للاستجابة النواة؛ أي كل ما ينتج على هامش الاستجابة النواة. نجد هذين النوعين من الاستجابة في مواقع التواصل الاجتماعي بكثرة؛ إذ إن التعليقات، والتعليقات، والرودود.. إلخ التي تلي "الاستجابة النواة" تشكل "استجابات موازية"، قد تخدم الاستجابة النواة، وقد تغير توجهها نحو أشكال ووظائف مغايرة حسب سياق إنتاجها.

- على سبيل الختم

نخلص مما سبق إلى القول إن بلاغة الجمهور حقل معرفي متفرد بمادة اشتغاله، وأسئلته البحثية، ووظيفته، وهويته المعرفية، يطمح إلى أن يكون مدرسة أكاديمية بلاغية. تهتم باستجابات الجمهور، وتسعى إلى إمداده بعدة بيداغوجية تمكنه من إنتاج استجابات بلاغية ورشيدة تؤثر في المتكلم، وتدفعه إلى إعادة النظر في خطابه.

اخترنا الوقوف عند استجابات الأساتذة المغاربة الذين يخوضون حراكا اجتماعيا، دفاعا عن حقوقهم ومكتسباتهم، وطلبا لمدرسة عمومية مستقلة تلي احتياجات الأجيال والمجتمع. وقد خلصنا، بعد محاولة تحليلنا عينة محدودة من هذه الاستجابات المترتبة عن خطاب وزير التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، إلى أن هذه الاستجابات تتفوق وتتميز ب"الإبداعية، والقصدية، والتفاعلية، والنقدية، والمقاومة.

كما أننا اقترحنا مفهومي "الاستجابة النواة" و"الاستجابة الموازية" للدلالة على الاستجابة الأولى وما يترتب عنها من استجابات موازية لها. لقد كان هدفنا محددًا في لفت انتباه الباحثين والمشتغلين بحقل بلاغة الجمهور إلى أهمية دراسة هذه الاستجابات؛ لأنها تشكل مادة غنية وثرية للاشتغال البلاغي.

#### الهوامش:

- (1) صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب الصديقي: بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات، دراسات محكمة؛ ط1: 2017، دار شهريار- العراق ص: 10.
- (2) نفسه ص: 10.
- (3) عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون؟، ط1: 2009، دار العين للنشر- القاهرة، ص: 52-53.
- (4) عادل المجداوي: البلاغة العامة والبلاغات الخاصة، بلاغة الجمهور نموذجًا، ط1: 2021، دار العين للنشر- القاهرة، ص: 44-45.
- (5) عماد عبد اللطيف: ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، ص: 18، ضمن كتاب "بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات".
- (6) نفسه ص: 18.
- (7) نفسه ص: 19.
- (8) نفسه ص: 19.
- (9) نفسه ص: 24.
- (10) نفسه ص: 25.
- (11) نفسه ص: 27.
- (12) عماد عبد اللطيف: ملامح التحول من بلاغة السلطة إلى بلاغة الجمهور، مجلة العربي الكويتية، فكر وقضايا عامة، العدد 635.



(13) نفسه.

(14) نفسه.

(15) رابط الفيديو الذي يحمل خطاب الوزير: <https://www.youtube.com/watch?v=qx8Z5JhyFVk>

(16) الصياغة اللغوية الفصحى من عندنا.

(17) عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب السياسي، البلاغة، السلطة، المقاومة. ط1: 2020، كنوز المعرفة-عمان، ص: 340.

(18) نفسه ص: 340.

(19) نفسه ص: 342.

(20) نفسه ص: 352.